الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قســـم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

N°رقم التسجيل: م أ ع/2014/089:

النزعة الذاتية في شعر فدوى طوقان

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر LMD في الأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب حديث

إعداد الطالبة:

✍ سوسن بوخاري

إشراف الدكتور:

✍ تيس ناصر محمد الحسني

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

- مصطفى بن عطية ..... رئيسا
- ناصر تيس .....مشرفا
- عمر عليوي.....ممتحنا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016 م

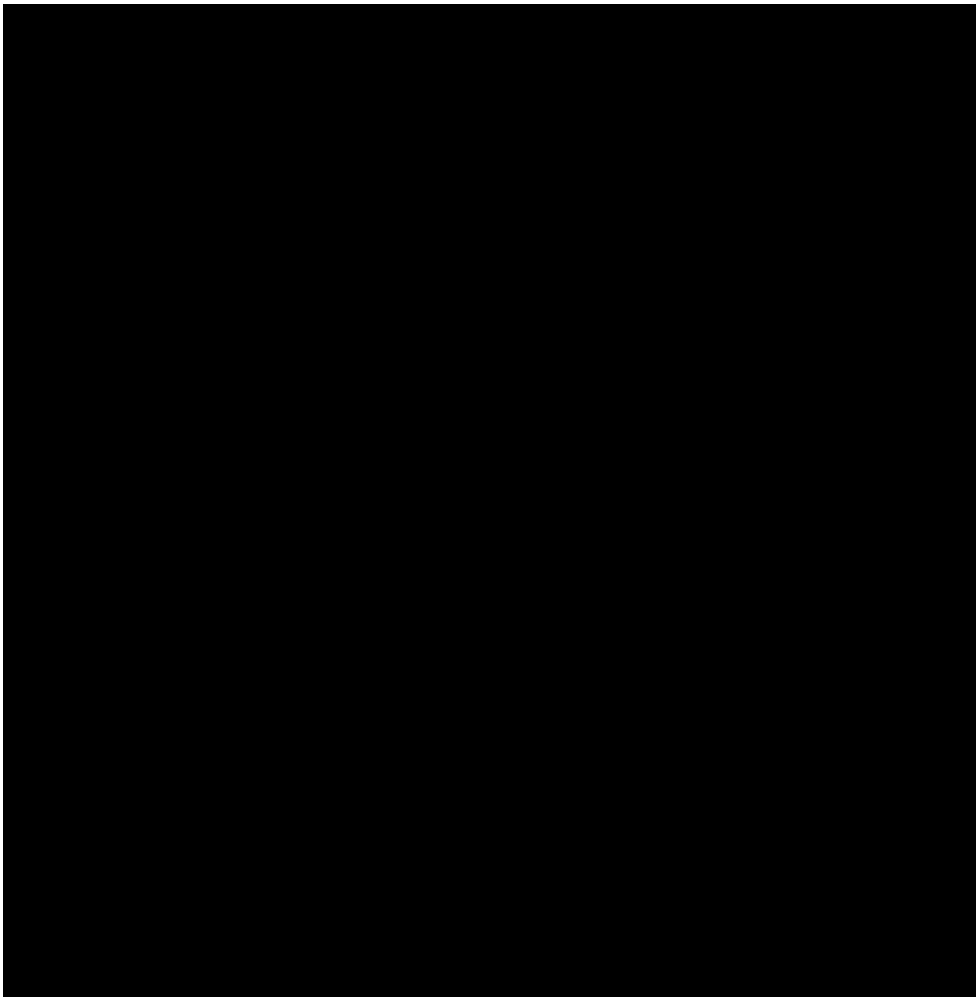

شكر وعرفان

قال تعالى: ((فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)).

صدق الله العظيم، سورة النمل :الآية 19

نتوجه بدايةً بالحمد والشكر إلى الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في اختيار هذا العمل وإتمامه وسدد خطانا وأيد سعينا ونصرنا على سلطان جهلنا

وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))

واعترافا بالجميل ونصرح وامتنان نسجل آيات التقدير والعرفان إلى الأستاذ :قيس ناصر محمد الحسيني.

الذي تفضل بقبول الإشراف على بحثنا وبمتابعة مراحله وصبره علينا ، والذي أمد بنصحه في سبيل إنجاح مهمتنا البحثية هاته.

كما لا يفوتنا أن نرفع برقيات الشكر إلى كل أساتذتنا الكرام الذين أفدنا من علمهم.

ولكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد كما نتقدم بجزيل الشكر إلى دفعة 2016

وإلى كل من لم يبخل علينا بالدعاء.

إهداء

باسمك يا ودود يا رب الوجود يا رحمان يا معبود أحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك على كل ما كان منك وما سيكون يا نور برحمتك ولطفك أستعين وعلى بركتك أهدي هذا العمل إلى كل من يصلي على نبيك محمد (صلى).

بسم الله الرحمان الرحيم ((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا))

صدق الله العظيم – سورة الإسراء – الآية 24.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل بكل افتخار أرجو أن يمد الله في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وغدا وأبدا إلى الدرع الذي لا يكل ولا يمل إلى من ملأ هذه الدنيا على إحساس وسعادة أبي حفظه الله ورعاه.

إلى من تقتلني في غيابها اللحظات من اخترع لأجلها آلاف الكلمات إلى من أرسم في وجهها اللوحات وأردد اسمها آلاف المرات إلى من لم أفسر حبها يوما لأن التفسير يقتل الآلاف الحكايات لذا سأظل صامتة ليبقى حبها على قيد الحياة أمي.

إلى ريحانتا حياتي أغلى الغوالي وأعز ما أنعم علي به المولى في دنياي شقيقتي أحلام وريمة إلى وردة البيت وريحانة فاح عطرها أختي أغلى ما عندي آية

سوسن بوخماري

مقدمة

المقدمة:

ليس في الناس من يكره التحدث عن نفسه، حتى الذين يقولون ذلك بألسنتهم إنما يعانون ألما شديدا لكف أنفسهم عهما تشتهيه، وإذا كان الحديث عن النفس بطريقة شفوية عامة حضا مشاعا بين أبناء الإنسانية فإن من بعض صوره قسمة تختص بالأديب أو الفنان لأن "الأنا" حاضرة لديه مقنعة أو مكشوفة، فصاحبها يحب أن يخلق المرايا المجلوة وينظر إلى نفسه فيها، وهي مكشوفة إذا كان يترجم لذاته ويتحدث من خلالها عن حياته.

وليست التجربة الذاتية حديثا ساذجا عن النفس ولا هي تدوين للمفاخرة والمآثر، ومن ثمة كنا نستسيغها ونجد فيها متعة عميق، فهي تحدثنا عن دخائل النفس وتجارب الحياة حديثا يلفى أذنا واعية، ولأنه يثير فينا رغبة الكشف عن عالم نجهله ، فقد تجيء التجربة الذاتية صورة للاندفاع المتحمس، والتراجع أمام عقبات الحياة، وقد تكون تفسيرا للحياة نفسها كما قلنا فهو يرسم الحركة الداخلية لحياة الفرد منا التي لها صور متعددة .

لقد اعتمدت على في دراستنا هاته على المنهج الوصفي والتحليلي فكان العنوان النزعة الذاتية في شعر فدوى طوقان وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب منها:

أ) أن فدوى طوقان شاعرة تمثل العنصر النسوة في المجتمع فعملنا على أن نبرهن أن للمرأة دورها في الحياة الأدبية.

ب) العمل على الخوض في غمار الشعر الفلسطيني تماشيا مع ما تعيشه فلسطين الحبيبة من مآسي وآلام.

ج) أن الموضوع غير مطروق بشمولية ودقة في الأعمال الأدبية.

وقد اعتمدنا الخطة التالية في دراستنا هاته.

افتتحنا البحث بمدخل عن شعر المقاومة الفلسطينية وظروفه ودوافعه وسماته وخصائصه ثم تعرضنا في الفصل الأول لتعريف الذاتية لغة واصطلاحا، فأعطينا لمحة عن الذاتية في الشعر العربي الحديث وأردفناها بالكلام عن الذاتية في الشعر الفلسطيني خاصة.

أما الفصل الثاني التطبيقي فيضم نموذجا للذاتية في الشعر العربي الحديث ومثلنا لذلك بالشاعرة نازك الملائكة واخترناها من العراق عن قصد لقوة تأثير الازمة العراقية فينا وأخيرا درسنا ملامح الذاتية عند الشاعرة الفلسطينية "فدوى طوقان والتي تمثل محور دراستنا ثم توجناها بخاتمة تلخص مجمل ما تعرضنا إليه والنتائج التي توخيناها من خلال ذلك.

وقد واجهتنا عدة صعوبات ونحن نخوض غمار هذا البحث المتواضع من بينها قلة المراجع في هذا الموضوع وعدم التطرق بكثافة خاصة الدراسات التي تتعلق بفدوى طوقان.

ومن بين المراجع الأساسية التي رجعنا إليها (مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية) للدكتور "نسيب نشاوي" وكذلك (حركات التجديد في الشعر الحديث) للدكتور محمد عبد المنعم خفاتجي زيادة على مراجع أخرى ودواوين شعرية ومجلات وهكذا وبفضل توجيهات وإرشادات ونصائح الأستاذ أ.تيس ناصر وعملنا الدءوب معه فمنا بهذه الدراسة وهذا العمل والذي نجعله خالصا لوجه الله ونرجو أن يثقل لنا به ميزان حسناتنا وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

مدخل

شعر المقاومة الفلسطينية

- ظروفه ودوافعه
- سماته وخصائصه

تمهيد

لا نعرف في الآداب العربية والعالمية أدب قطر حمل معاني الحنين والتشرد والتمزق والتشبث بالأرض، والثبات والمقاومة والتفاؤل الثوري مثل أدب أبناء فلسطين من حيث النضج الفني والرؤية المستقبلية والخصب في مثل ذلك الظروف القاهرة قبل النكبة وبعدها.

ومن ثم يمكننا القول أن قضية فلسطين لا تجاريها أية قضية أخرى كمصدر للمواضيع الأدبية في الادب العربي الحديث، فمنذ صدور تصريح بلفور عام 1917 استقطبت فلسطين عددا متزايدا من الشعراء والأدباء والنقاد وغيرهم من بلوروا ألوانا من الادب والنقد الذي يتناول بالدراسة الادب العربي الحديث الذي يدور حول النضال الفلسطيني يجد أن له حد الانتشار باعتباره يمثل الأداة الأشد فعالية للوصول إلى جمهور واسع ولا يقاض الرأي العام أو تكوينه عل حد تعبير الناقد الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا الذي يقول "" يمكن إدانة الشعر باعتباره لعبة ضعيفة أمام البنادق لكنه في الواقع الفعلي غالبتا ما كان يضاهي الديناميت في الجودة ولقد بلور هذا الاتجاه غضب وآلام أمة بأسرها.

حيث قام ببلورة المواقف السياسية في سطور مبعثرة حفظها الشيب والشبان وأدت لزيادة صلابة المقاومة الشعبية، وتزودها بالشعارات المبدعين.[1]

أ) شعر المقاومة ظروفه ودوافعه.

لقد انفعل شعراء فلسطين بأحداث قضيتهم وتفاعلوا معها تفاعلا ايجابيا وأولوا لها عناية خاصة بها في مختلف أطوار التي مرت بها ، فكانت هذه الانفعالات والتفاعلات استجابة لدوافع ومتطلبات وطنية ، وانعكاسا لظروف موضوعية كانت فلسطين مسرحا لها ومن بين الأحداث التي أثارت انفعالاتهم ونددوا بها بأشعارهم نطالع الموضوعات الآتية:

---

[1] – جبرا خليل جبرا" المتمردون والملتزمون والآخرون " انتقالات في الشعر العربي الحديث اليوم "مقالة منشورة بالانكليزية في مجلة ميدل أيست فورم. العدد 1، 1967 . ص 20 وهي ما خودة مترجمة من كتاب ::د/نسيب نشاوي.مدخل إلى المدارس الأدبية ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر:1984/ص 382.

ومن خلال الجدول التفصيلي الذي يبين ردود الأفعال التي واجه بها الشعراء الهجمة الصهيونية:

ويمكن تقصي مظاهر المواجهة من خلال العناصر التالية:

الهجمة الصهيونية	مواجهة الشعراء
الهجرة الصهيونية	الخوف، التنديد، الغضب، السخط، الحقد، الكراهية
وعد بلفور	التديد ، الخوف ، السخرية
بيع الأراضي	التنديد، التحذير، النبوءة، المستقبلية
تقاعس الزعماء	التديد، حمل عبئ القضية
قرار التقسيم	التنديد ، حق تقرير المصير
الهدنة	التديد ، الدعوة لمتابعة النضال

ظروفه ودوافعه

1- الهجرة الصهيونة:

ندد الشعراء بالهجرة الصهيونية وحذروا من نتائجها وأخطارها ووصفوا وسائلها ودعوا إلى اليقظة لمواجهتها كما يقول "إبراهيم طوقان":

يهاجر ألفا .. ثم ألف مهربا ويدخل ألف سائحا غير آيب

بني وطني هل من يقظة بعد رقدة وهل من شعاع بين تلك الغياهب[1]

كما نددوا ببريطانيا وانتدابها، الذي كان عونا لهذه الهجرة وممهدا لها وبهذا تلتقي انفعالات الكراهية في نفس الشاعر من انفعالات الغضب والحقد على الانتداب البريطاني حتى تبدوا في كل ما يكره من الحياة.

منذ احتللتهم وشؤم العيش يرهقها فقرا وجورا وإتعاسا وإفسادا

بفضلكم قد طفا الطوفان(هجرتهم) وكان وعدا تلقيناه إبعادا[2]

---

(1) - طوقان إبراهيم "ديوان إبراهيم طوقان " دراسة إحسان عباس مقدمة فدوى طوقان ، دار القدس –بيروت 1975 ص166

(2) - نفس المرجع :ص166

2-وعد بلفور:

ندد الشعراء بوعد بلفور المشئوم واستاءوا منه وسخروا من وفاء بريطانيا بوعدها

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالة) وختمنا لجندكم بالبسالة
وخجلنا من ألطفكم، يوم قلتم وعد بلفور نافد لا محالة[1]

ومن خلال مظاهر الحقد والسخرية والكراهية والتنديد كان لا بد من التأكيد على عروبة فلسطين ردا على ما نص به وعد لفور:

ليست فلسطين في البلدان عارية تهدى وتمنح بين العير والعير
وليس أبناؤها ملكا لمنتدب فوعد بلفور عنها وعد ممرور[2]

2- بيع الأراضي:

وقف الشعراء من مسألة بيع الأراضي وسماسرتها وقفة صلبة فهاجموا سماسرة الأرض وهجوهم هجاءا لاذعا مرا ونعتوه بمختلف النعوت "كذلك أعطوا الأرض بعدها الحقيقي والأشمل باعتبارها وطنا وليست مجرد تراب[3] وقد دعوا إلى التخلص من هؤلاء السماسرة لأنهم وصمة عار على جبين الأمة والوطن وطالبوا بالقضاء عليهم قبل أن يقضوا على الديار كما لم يخف على الشعراء أن بيع الأراضي فيه تجن على الأحفاد والأجيال المقبلة:

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تعلمت أن الخصم خداع
لقد جنيت على الأحفاد والهفي وهم عبيد وخداع وأتباع
فكر بموتك في أرض نشأت بها وأترك لغيرك أرضا طولها باع[4]

---

(1) - المرجع السابق نفسه :ص157

(2) - المرجع السابق نفسه :ص157

(3) - القاضي محمد "الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية، الدار العربية للكتاب – تونس 1982، ص60

(4) - ياغي عبد الرحمان "حياة الأدب الفلسطيني الحديث حتى النكبة " المكتب التجاري – بيروت 1968 ص 249

3-تقاعس الزعماء وتناحرهم:

ندد الشعراء بتناحر الزعماء وخصوماتهم خوفا على البلاد من الضياع والتمزق ودعوا إلى ابتعاد الزعماء عن حياة الدعة، وذلك أسوة بالزعيم غاندي زعيم الهند الذي بذل الغالي والنفيس حفاظا على تراثه وأرضه وشعبه.

حبذا لو يصوم منا زعيم مثل غاندي عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامه في فلسطين يموت الزعيم لولا طعامه
لا يصم عن بيعه الأرض يحفظ بقعة تستريح فيها عظامه

4- قرار التقسيم

رفض الشعراء قرار تقسيم فلسطين الذي أعلنته الأمم المتحدة (1947/11/29) قبل أن تنهي بريطانيا انتدابها على فلسطين في (1948/05/15) ونددوا به لأنه يمزق الأرض الفلسطينية ويقر اليهود بحق الوجود في ارض ليست لهم واعتبر الشعراء هذا القرار تعبيرا هن وجهة نظر استعمارية لدول لا ترعى عهدا ولا ميثاقا كما يقول الشاعر شفيق الحوت.

كم حدثونا عن العدل المقيت وكم كانت لهم حلبات الظلم مستبقا
لن تستقر ولن تهدأ مراجلنا والحق في عالم الأطماع قد خنقا
سيعملون وفي التاريخ موعظة كيف استمدوا من التقطيع متفقا[1]

وفد بين الشعراء أن قرار التقسيم هذا هو اعتراف صريح بما نادى به وعد بلفور من قبل، وهو إقامة دولة إسرائيل على قسم من فلسطين كما اعتبروا قرارا جائر بحق فلسطين.

5- الهدنة

وفيها نواجه آخر خيوط المؤامرة وهو إعلان وقف إطلاق النار في ساحة الصراع العربي الإسرائيلي ،لتحشد الصهيونية عدتها من أجل تحقيق حلمها ،ويعلو صوت التحذير والتنبيه ينذر بخطورة الهدنة وعواقبها وأنها هدنة مكر وخداع يقول برهان الدين العبوشي في هذا الصدد:

[1] - الأسد ناصر الدين " الشعر الحديث في فلسطين والأردن مط لجان البيان العربي- القاهرة 1957 ص246

هدنة المكر هذه سوف تجني بعدها الذل والعذاب المقيما
أيها الغافلون لا تأتمنوها إنهم ينفثون فيكم سموما[1]

وتبقى الأرض في كل مراحل الصراع ، ساحة صراع مادي يخوضه الشعراء في اتجاهين: صراع مواجهة للمخططات الصهيونية والاستعمار وصراع بقاء للمحافظة على الوجود العربي والأرض العربية فقد كانت فلسطين مسرحا لأحداث دامية وتضحيات جسيمة تظل فيها أرض فلسطين الفردوس الجميل ويبقى موضوع الأرض في الشعر المقاومة الفلسطينية سبيلا إلى إدراك فلسفة الكفاح حتى يرجع لصاحب الحق حقه ويزول الجور والمكر والظلم.[2]

كذلك عبر الشعراء في دواوينهم عن الدعوى للجهاد والحث على الثورة والإشادة بالثائرين والعهد والشهادة وتمجيدا للبطولة كما يقول الفدائي الشهم "عبد الرحيم محمود":

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما مميت يغيظ العدى
أرى مقتلي دون حق السليب ودون بلادي هو المبتغى

كما لا يفوتنا ذكر الحرمة الدينية للمسجد الأقصى فقد دافع عنها الشعراء ونددوا بتدنيسها وغيرها من المقدسات المقامة على الأرض المحتلة ومن خلال كل هذا انطلق الشعر إلى ميادين النضال وحملت القوافي والحروف فيما حملت اللهب إلى النفوس لإثارة النخوة والحمية.

خصائص هذا الشعر وسماته:

لا بد هنا في هذا السياق من الاندماج إلى القول بأن الشعر الفلسطيني جاء على مرحلتين:

مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات وما قبلهما:

فقد كان شعرهم فيها تسجيلا للمواقف الثورية المختلفة في فلسطين كما كان اعتراضا واحتجاجا على بعض المواقف ولذلك يعتبر هذا الشعر وثائق تاريخية لنضال شعب فلسطين

---

(1) – الأسد ناصر الدين " الشعر الحديث في فلسطين والأردن ص261

(2) – عبد الرحيم محمود "ديوان "جمع وتقديم كامل السوافيري، دار العودة –بيروت 1974، ص120.

فهم شعراء مناضلون وشعرهم كان أداة نضالهم وعملهم السياسي الدءوب فكانوا بحق تعبيرا عن الوجدان الشعبي المقاتل وتمجيدا له في تلك الفترة كما استخدم شعراء هذه المرحلة الشكل التقليدي في القصيدة تعبيرا عن مشاعرهم وتجاربهم ذلك لأن التحدي الذي كانوا يواجهونه بالتهديد والقضاء على الشخصية العربية وربما لم تترك لهم المعركة فرص التفكير في قضية التجديد في الشكل كما كانت وظيفة الشعر في تلك المرحلة خطابية تهدف إلى الإثارة والتحريض والدعوة إلى اتخاذ المواقف الإيجابية.

لذلك اعتبرت القصيدة المؤثرة هي التي تتفاعل معها الجماهير فتؤجج عواطفهم وتستثيرها وكأنها منشور خطابي في عنفها ووضوحها ومن ابرز شعراء هذا الجيل إبراهيم طوقان محمود درويش وغيرهم من شعراء الأرض المحتلة .

وخيم صمت عميق طويل هو أطول من ليل امرئ ألقيس وهمومه، ذلك هو ليل النكبة الذي أبتلى به شعب فلسطين كأنما هو نتيجة ذلك الذهول الذي أصيبت به امتنا العربية وبدأت مرحلة واسعة من النفي والتشريد والإبادة فسالت دماء طاهرة بريئة على التراب الفلسطيني وشرد من شرد من فلسطين ومن أشعار هذه المرحلة تطالعنا مشاعر الأسى والحزن واليأس والهزيمة.

ثم انفجر بعد ذلك شعر حماسي صاخب كأنه تجاوب مع الضمير الشعبي الذي صحا من ذهوله ولجأ إلى عدم التصديق بما يجري فلقد كانت أحزانهم مقدمة حية لكل ما جاء بعدهم من مظاهر الثورة والتمرد ويبدو ذلك من خلال ثورتهم على التمرد واليأس والذل رفضهم الواقع الأليم رفضهم التشرد والقيود والثورة لصنع المستقبل المشرق.[1]

وهكذا وبتغير وجه الحياة والتأثر بتطور الشعر العالمي ورغبة التعبير بالأساليب الحديثة المتصلة بصميم الواقع والسعي للتأثير في الجماهير في حلبة المعركة جعلت طائفة من الموهوبين تعتمد أسلوب الشعر الحديث المستند إلى التفعيلات والمتحرر ما أمكن من قيد

[1] – راجع د / نشاوي نسيب " مدخل إلى المدارس الأدبية ص433

القافية والمتموج مع خلجات النفس ونوازع الغدارة ومطامح الإنسانية وهم في غنية عن التزويق والزخرفة ومن هؤلاء أيضا شعراء الأرض المحتلة " توفيق زياد" "محمود درويش" سميح القاسم فدوى طوقان سلمى الخضراء الجيوسي يوسف الخطيب وغيرهم أما أهم السمات التي تميز هذا الشعر فهي أنه:

1- شعر قضية مرتبطة ومتفاعل مع الحركة الثورية الفلسطينية يتسم بالتفاؤل الثوري والثبات والمقاومة.

2- أنه شعر يدافع عن الشخصية العربية وكرامتها بين قوم امتهنوها.

3- أنه شعر يتشبث بالأرض ويرفض رفضا قاطعا الهروب من واقع يعيش أبناؤه في ظل ظروف سيئة.

4- فهو شعر يبوح بلوا عج الحنين إلى الأهل المشردين عن فلسطين

5- أنه شعر يغص بأمور لا تحكى إنها الاضطهاد والاستغلال والتسلط على الشعر العربي في أرضه.

6- ظهور النزعة القومية الإنسانية فالشعراء لا يكرهون اليهود ولكنهم يكرهون الصهيوني العسكري البرجوازي ومع هذا فهم يغنون للأحداث الثورية القومية العربية والعالمية ولذلك فن المقاومة والاحتجاج في العالم يتجلى بملامح فلسطين.

7- المشاركة الوجدانية لأبناء العروبة في آلامهم وآمالهم والتفاؤل المستقبلي

8- ظهور النزعة الذاتية في ثنايا أشعارهم للتعبير عما يختلج في صدورهم أو للتعبير من خلالها عن الآخرين.

9- هذا الشعر جزء من حركة الشعر المعاصر واستمرار للشعر الثوري الفلسطيني وهؤلاء الشعراء يعرفون تماما أنهم بهذه الوسيلة الأدبية التي يستخدمونها لا يستطيعون تغيير الليل

الأسود الثقيل ولكنهم بالشعر قادرون على فضح أسباب هذا الظلام ومسبّبيه وبذلك يسهمون في إشعال الشرارة لإضاءة نهار فلسطين نهار الحرية نهار الكرامة للإنسان العربي.[1]

[1] – من كلمة أبو رشاد رئيس الوفد الفلسطيني إلى المؤتمر العام 12 لاتحاد الأدباء العرب بدمشق، 1979 ، منشورات اتحاد الكتاب – دمشق ص68

الفصل الأول

الذاتيـــــة في الشعـــــر

- تعريف الذاتية لغة واصطلاحا
- لمحة عن الذاتية في الشعر الحديث
- ملخص للذاتية في الشعر الفلسطيني

1-تعريف الذاتية لغة واصطلاحا:

جاء في (لسان العرب) أن ذات الشيء حقيقته وخاصته[1] وقال الانباري في قوله عز وجل إنه عليم بذات الصدور"[2] معناها بحقيقة القلوب من المضمرات[3] والذات في المعجم الوسيط النفس والشخص وذات الصدر سريرة الإنسان.[4]

أما في المعجم الأدبي فقد ورد في مادة (ذات) طبيعة خاصة وضرورية تجعل من شيء هو نفسه أو مجموعة من الخصائص المكونة له وقد تعني قوام الكائن يقابل العرض الذي هو سطحي وزائل[5] ولو رجعنا (للمعجم الفلسفي) لوجدنا أن الذات هي النفس والشخص أيضا يقال ذات الشيء نفسه وعينه والذات أعم من الشخص لأن الذات تطلق على الجسم وغيره والذات تطلق عل باطن الشيء وحقيقته وتطلق على الماهية.[6]

وهي في المنطق تطلق على مجموعة المقومات التي تحدد مفهوم الشيء وقد فهم الفيلسوف سقراط من الذات النفس عندما عرف العلم الحقيقي بمعرفة النفس أعرف نفسك من الذات في التحليل النفسي عند فرويد التي هي (الأنا) وهي عند يونغ تمثل مركز الشخصية وتحتل مركزا وسطا بين الشعور واللاشعور.

وقد يقال شيء ذاتي بمعنى انه منسوب إلى الذات بمعنى تصرف بدافع شخصي مثلا نقدا ذاتي يقوم على آراء الشخص وانطباعاته وعكسه نقد موضوعي.

أما الذات في الإصلاح فهي نزعة ترمي إلى رد كل شيء إلى الذات وعكسها النزعة الموضوعية ولها مفهوم فني (تجلي الذات) بمعنى اكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية

---

(1) - ابن منظور "لسان العرب" مادة ذات، المجلد 09، دار صادر –بيروت ص109

(2) - سورة الشورى :الآية 21

(3) - خفاجي عبد المنعم "حركات التحديد في الشعر الحديث" دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ص23

(4) - مجمع اللغة العربية "المعجم الوسيط" مادة ذات جزء1 ط4 دار المعارف – مصر ص95

(5) - جبور عبد النور " المعجم الأدبي" مادة ذات ط2 دار التعليم للملايين – بيروت 1984 ص 116

(6) - طيبا جميل " المعجم الفلسفي "مادة ذات ج1 ط 1 دار الكتاب اللبناني بيروت 1971 ص 579-580

في الفنان أو الأديب وبروزها بوضوح وتعبير متميز من خلال الآثار التي يبدعها ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص في الأعماق واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية وعرضها فنيا.

والتجربة الذاتية أو الوجدانية التي تحدد مدرسة الشاعر وتضعه في مكانه المتميز الذي يفسر كل إبداعاته الشعرية ويعني بها أيضا التجربة الشخصية أو الفردية التي تعبر عن رؤية الشاعر لموضوعه رؤية تحمل سمات شخصيته وذاته فيها من فكر وشعور فضلا عن قدراته الفنية والتعبيرية.[1]

2-لمحة عن الذاتية في الشعر العربي الحديث:

لقد كان التعبير الذاتي من المميزات الرئيسية لنوع الأدب الجديد الذي كتبه الرومانسيون في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر والشعر أقرب الفنون إلى الذاتية فهو تعبير عن رؤية الشاعر للحياة، وقد كتبت عدة كتب في هذا المجال من بينها الكتاب الذي أصدره الدكتور طلعت أبو العزم بعنوان (التجارب الذاتية في شعر البارودي) الذي يمثل رائد مدرسة الإحياء محمود سامي البارودي الذي وقف الدارسون والنقاد منه ومن شعره مواقف متناقضة ويؤكد لنا أيضا أن للبارودي العديد من التجارب الذاتية التي حفل به ديوانه ونجده يقر أن سبب التفوق البارز في شعر البارودي يعود إلى ارتقاء الشاعر في التعبير عن ذاته وعن شخصيته كما كان على وعي بالأسباب التي تدفعه إلى العمل الفني وعالما بقدراته ومدركا لأبعاد عالمه النفسي ومن ثمة فقد كان يعكس كل هذا في أشعاره وبخاصة في تجاربه الذاتية.

وهكذا نجد تدفق سيل من الشعراء بعد البارودي خاصة أولئك الذين انضووا تحت لواء الرومانسية كما قلنا أنفا كزنها تتسم بالطابع الذاتي الوجداني وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور وعلى أثرها برز الشعر الغنائي العاطفي الذي التزم البساطة في كل شيء في التفكير والتعبير في التذوق والشعور وترك النفس عل سجيتها وعانق النظرة والطبع الخالص.

---

[1] - أنظر خفاجي محمد عبد المنعم :حركة التجديد في الشعر العربي الحديث ،ص25.

وبذلك بلغ الشعراء الرومانسيون في التعبير عن ذواتهم وعن فلسفة الألم التي تنطوي عليها جوانحهم كل مبلغ وعلى حد قول "جوتة" يجب أنم يحذر الشاعر النقل عن أي شاعر آخر لأنه يريد أن يكون تعبير الشاعر عن ذاته هو لا عن ذات غيره.[1]

ونحن نتصفح كتب الأدب نجد من بين الشعراء الذين دعوا واخذوا في تمجيد الجانب الذاتي، الثلاثي "إبراهيم عبد القادر المازني (1939/1890) وعبد الرحمان شكري (1958/1886) و"عباس محمود العقاد"(1964/1889) الذين خرجوا بنظرية جديدة أطلقوا عليها "شعر الوجدان"[2]، وعن هذه انبثقت الدعوة إلى يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته وأن يبعد عن المناسبات وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين وحب الطبيعة وتصويرها ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس والتعبير وظهور شخصيته الفنية، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية وقد ادخل "المازني" في تعريفه الشعر العاطفة والخيال.

أم شكر فقد كتب على صدر الجزء الأول من ديوانه الذي سماه (ضوء الفجر) هذا البيت من الشعر:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان[3]

والمتتبع لشعر العقاد هو الآخر يجد فيه طابع التبرم والشكوى ويظهر ذلك في جل الأغراض التي نظم فيها، ولقد كان يحاول دائما ان يخفف بالشعر عن نفسه من حين لآخر لكنه لم يزده الورد إلا عطشا فهو الذي يقول:

ظمآن ، ظمآن لا صوب الغمام ولا عذب المدام ولا الانداء ترويني

حيران حيران لا نجم السماء ولا معالم الأرض في الغمام تهديني

---

(1) – المرجع السابق نفسه ص53

(2) – المرجع السابق نفسه ص56

(3) – شكري عبد الرحمان "ديوان ضوء الفجر " ط4 ج 1 دار العلم للملايين بيروت 1978، علي صدر الجزء الأول من الديوان

يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا نيني ولا سمر السمار يلهيني

غصان غصان لا الأوجاع تبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني

شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفني محزون[1]

في هذه القصيدة تعد نفثة من نفثاته وعصارة حبة، ومرآة وضاءة لنفسه الرقيقة الحزينة القلقة، إنه ظمآن حيران يقضان ، إنه غصان أسوان حزين يستعمل الشعر للتخفيف عن آلامه كما قلنا ولكن الشعر لا يطفأ أواره كما لا تطفئ الدموع أحزان المحبين، إنه يعيش وحيدا في هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه، إنه يتمنى حياته وأن يمحوه الموت .

من الوجود لتفني حسراته وأناته، وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه وفيها من ونأت الأحزان ما يسترق القلوب ويستجلب المدامع ، ولعل هذا القلق من الحياة هو الذي دفعه إلى الحذر منها وإلى التفكير في مصير الطارئين عليها ما دامت حياة آلام وأحزان ولهذا نجده آثر حياة الوحدة فهو بذلك يشبه المعري إلى حد منا.

وإضافة إلى هؤلاء الثلاثة نجد الكثير من الشعراء في الوطن العربي يتغنون بذاتيتهم معبرين من خلالها عما تكنه صدورهم ونفوسهم ومن هؤلاء الشاعر " علي محمود طه المهندس (1949/1901) الملاح التائه في بحر الوجود فقد لونت أشعاره تساؤلات مرجفة بأصباغ رومانسية صرفة ولما كان منه من حيرة وشك يقظة حلو وصراع عنيف بين القلب والعقل ونزعة ذاتية وامتزاج مع الطبيعة ونغمات شكوى فهو القائل:

من عبرات صغت هذا المقال ومن لهيب الروح هذا القلم

ملأت منه صفحات الليالي فضمنت كل معاني الألم[2]

حتى تكاد النزعة الذاتية تطغى على إنتاجه لأن روحه المتوثبة بإحساساتها تخفق وتومض كإماض النجوم وتحار في مصارع الأيام وتستوحش من انفرادها واغترابها وتبحث عن السعادة ثم لا تصحوا إلا على وهم من الخبل إذ يقول:

---

(1) – عباس محمود العقاد "ديوان العقاد " ج2 مط الهلال – مصر 1983 ص194

(2) – علي محمود طه ديوان محمود طه " دار العودة – بيروت 1972 ص99

أنا الموثق المكدود طالت طريقه طريق أسير في رعاية آسر

تجاذبني طاحونة الشمس كلما توقفت وتمضي بين سياط المقادير

وما بسمتي إلا دموع من اللظى قد التمعت في وجه سهمان حائر[1]

وإلى جانب هذا نجد الشاعر السعودي "طاهر الزمخشري"(1914) في قصائده الذاتية والذي يقول في إحداها:

وأنا الموجة تطفو واللظى بحري الطامي بعزمي وغلابي

وأنا الليل وحولي شهب لا تنير الأفق إلا لصوابي

وأنا الحرب لظاها اشتعلت في سبيل الحق روحي وشبابي[2]

فقد تبدو الذاتية من خلال (أنا) المكررة في الأبيات الأولى من قصيدته هاته المعبرة عن الموقف الحماسي الصاخب.

وأيضا نجد الشاعر اللبناني "رشيد أيوب" (1941/1871) الملقب بالشاعر الباكي الذي يكثر في شعره الألم النفسي والحيرة والانطواء على الذات ونراه يتخذ من الشعر آنية لصب آهاته ودموعه التي يغترفها والحنين في شعره لا يرافقه إلا الألم الكبير، لقد انصرف إلى الشعر الكئيب ورقع على أوتاره أحاسيسه ولواعجه الخاصة، فاصطبغ بالصبغة المتألمة المنطوية المعبرة عن عمره الكئيب الذي قطعه بالركض وراء الآمال دون جدوى.[3]

ومع هذا كله لا ننسى كبار الشعراء البارزين أمثال " إيليا أبو ماضي " من خلال قصائده خاصة قصيدته المشهورة(الطلاسم) أما جبران خليل جبران الذي اغترب روحيا ومكانيا فعانق الطبيعة، ودار حول ذاته فلم يجني سمى حمى الألم فعاف الدنيا وحار في العيش فيها حتى قضى عليه مرض القلب.

---

[1] – المرجع السابق نفسه ص360

[2] – أنظر المالك صالح ورفاقه "النصوص الأدبية " مطبعة دار الأصفهاني –جدة 1975 ص 149

[3] – الناعوري عيسى ق أدب المهجر ط2 دار المعارف – مصر 1967 ص 424

ومهما أطلنا الحديث في توخي الذاتية في الشعر العربي الحديث فإننا لن نستوفي الموضوع حقه، لأن الشعراء في هذا العصر تلونت الكثير من أشعارهم بالنزعة الذاتية الوجدانية وخاصة الشعراء الرومانسيون.

3-ملخص للذاتية في الشعر الفلسطيني:

من بين الصبغات التي تلونت بها أشعار شعراء الأرض المحتلة نجد النزعة الذاتية هاته الأخيرة التي عبروا من خلالها عن هموم وأحزان وآلام الفلسطينيين داخل وطنهم ولعل ألمع وأبرز شعراء الوطن المحتل في هذا الجانب على الإطلاق الشاعر "محمود درويش" (1942) اللاجئ الفلسطيني في فلسطين وسميح القاسم (1939) شاعر المقاومة الفلسطينية وثالثهم توفيق زياد ابن الثلاثينيات.

رغم آن المتمعن في قراءة شعرهم يجده مزيجا بين الرمزية وتصوير الواقع المر بكل آلامه، لكن هذه الرمزية جاءت خلف ستار ينم عن وجدان عاطفي ينبع من قلب الشاعر.

فهذا "محمود درويش" وهو يشعر بعذاب نفسي حين يرى أن هذه الرمزية تحول دون أن تمارس الكلمة مفعولها بين الجماهير، لأنه يعد نفسه شاعرا ثوريا يخاطب الجماهير، ويكتب من أجلها أما موسيقاه الشعرية توحي بالانفعالات الوجدانية وتسهم لحد كبير في إيضاح المعاني وبخاصة حين يخاطب بهذه الرمزية حماة القضية الفلسطينية المتقاعسين بقوله:

ما زال في صحوتكم بقية من العسل
ردوا الذباب عن صحونكم
لتحفظوا العسل
ما زال في كرومكم عناقيد من العنب
ردوا بنات آوى يا حارسي الكروم
لينضج العنب.[1]

[1] - درويش محمود " ديوان محمود درويش"دار العودة –بيروت ص144

كما يكثر في شعره أيضا الحنين والتلهف إلى الأهل الذين غادروا فلسطين فها هي نفسه، تفيض بالشكوى والجوى والتلهف لسماع أخبارهم فهو يقول:

وأنت يا أماه
ووالدي وإخوتي والأهل والرفاق
لعلكم مثلي بلا عنوان[1]

ويتميز " محمود درويش" من خلال شعره بضيف النفس وسعرى الانفعال إذ غالبا ما ينتهي الدفق الشعري قبل أن يتوقع القارئ اقتراب خاتمته ففي قصيدته "مغنى الدم" إحدى الأعمال الفنية المتمثلة لإصراره على مواصلة الكفاح يقول بعاطفة جياشة:

كفر قاسم
إني عدت أستعير صوتي من جرح توهج
وأعينيني على الحقد الذي يزرع في قلبي عوسج
إنني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد أن أمشي على جرحي
و أمشي ... ثم أمشي... وأقاوم[2]

فكثيرا ما عبرت كلماته عن الإحساس بالألم والضياع وسلب الحق والشعور بالغربة وسط فلسطين قبل أن ينتقل إلى لبنان.

ويبدو كذلك "درويش" من خلال مجموعته الشعرية (أوراق الزيتون) قصة الأرض السليبة بكل أبعادها فقد عرفناه من خلالها شاعرا يقاتل في شعره ومناضلا صلبا أتقن فن النضال، كما وجدناه إنسانا وعاشقا التحم بجسم بلاده فوهبها كل ما يملك وتمسك بأعشابها وصخورها وتراثها وترابها، فكانت تجربة الأرض عنده تجربة مميزة كان فلاح هذه الأرض افتتني في فلاحتها فلاحة شعرية رائعة ومخصبة.

---

(1) – المرجع السابق نفسه : 167

(2) – المرجع نفسه ص 526

وكانت أرض فلسطين حقله وهو حراثه وناطوره الذي يبعد عنه الأذى والعدوان ومغنيه الذي هام به منذ الصبا، كما يقول في قصيدته (عاشق فلسطين):

عيونك شوكة في القلب
توجعني ... واعبدها
واحميها من الريح
فيشعل جرحها ضوء المصابيح[1]

فهذا الموقف الرمزي يوحي بالألم المر الذي يقاسيه نتيجة اغتصاب حبيبته(وطنه) وبقوة الدفع يولدها ذلك الاغتصاب والتصميم على التضحية والفداء ،فقد يلجأ الشاعر أحيانا إلى التقاط وحدة الأثر النفسي بين الأشياء، ثم يوجد بين صور التشابه حيث تصبح شيئا واحدا ، تتحطم فيه الحواجز بين الواقع الحسي والواقع النفسي ومن ثم ترتقي إلى مستوى الرمز المعبر كما هو متمثل في (عيونك شوكة في القلب) حيث كانت نظراتها المنكسرة الأسيرة ، وطرفها الحزين الملتاع في تأثيرها على الشاعر بمثابة جسم حاد يرتطم بالصدر مركز الإحساس والشعور فيتضاعف الإيلام وتزداد المأساة فيعظم الإيحاء[2] حيث استعمل الشاعر محمود درويش العديد من الرموز في ثنايا شعره لتساعد على التعبير عن قوة أحاسيسه ومشاعره.

بالإضافة إلى أننا نجده مرات يستوحي من قصص دينية كقصة نوح عليه السلام وغصن الزيتونة الذي حملته الحمامة دليلا على فيضان الماء وانقضاء الأمر وحلول السلام، لكنه أضفى على ذلك دلالات معاصرة فجعلها تتفق مع التجربة الإنسانية التي عاناها والتي يريد التعبير عنها والإفضاء بمكنوناتها فهو يطلب من نوح عليه السلام أن يرحل كما فعل لأن السلام لا يمكن في ترك الأرض الفلسطينية والنزوح عنها بل فيه البقاء أديمها لأن جذور الشعب لا يمكنها أن تعيش منقطعة الصلة عن الأرض فهو يقول في قصيدة مطر:

---

[1] – المرجع السابق ص5

[2] – قاسم عدنان حسين التصوير الشعري ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ط1 ليبيا 1980 ص144/143

يا نوح هبني غصن زيتون
ووالدتي حمامة
إن صنعنا جنة
كانت نهايتها صناديق القمامة !
يا نوح ... لا ترحل بنا
إنا الممات هنا سلامة
إن الجذور لا تعيش بغير أرض
ولتكن أرضي قيامة[1]

وإلى جانب محمود درويش نجد زميله الشاعر سميح القاسم الذي لا نجد في شعره سوى صرخات جريحة ملتهبة تجأر بالظلم، دون أن تحدد مسؤولية الدولة الصهيونية ، وإذا حاول سميح ذلك فإنما يفعله على استحياء وبكثير من الخفر فيوري ويخفي كلمته ويتهم العرب بأنهم هم أصحاب النكبة وصانعوها.[2]

وجل شعره يتوجه نحو التخاذل العربي على المستويين الفلسطيني بخاصة والعربي عامة وتمثل قصيدته قإليك هناك حتى تموت ،ذروة السخط على من غادروا الوطن مخلفين ورائهم الهموم الكبرى دون اسهام في حمل جزء من أعبائها وهو يصور فيها تخلي صديقه الفلسطيني عن وطنه الأم دونما رجعة، وهذا التنكر يتحول إلى أشواك تجرح وجه الشاعر وقلبه، فها هو يقول على لسان صديقه في ديوانه (دمي على كفي) حيث يقول:

أنا أصبحت إنسانا جديدا ...
ختمت دراستي العليا ونلت شهادة المعهد
وأصبح مكتبي أكبر
وصار اسمي هنا أشهر
ولي صديقة شعرها أشقر أمها فرنسية

(1) – درويش محمود "ديوان محمود درويش" ص183
(2) – القاسم سميح "ديوان سميح القاسم" ط9 بيروت 1973 ص466

إنه يرسم صور الانهزامية والتحول على الفخر بالشيم العربية إلى فخر بصحبة الصديقة الأجنبية، وركوب السيارة المفارقة، والغرق في الرفاه ويتم ذلك طريق السخرية الجارحة بالطريقة الحوارية، وهو يأس لهذه المفارقة المحزنة، لهذا الانسلاخ عن الهوية وفقدان الانتماء ولكنه يعمق الجرح، ويوسع المفارقة كلما تقدم خطوة في القصيدة.

ومن خلال تصفحها لأشعار "سميح قاسم " نجده مثله مثل سلفه " محمود درويش" في استعمالهم للرمز وما ينبع منه من كلمات مشعة تتم عن تجارب عاطفية قوية فهو يقول في قصيدة الموت يشتهيني فتيا:

تعبر الريح جبيني
والقطار
يعبر الدار ...فينهار جدار
بعده يهوى جدار
وجدار بعده يهوى
وينهار جدار
تعبر الريح جبيني
ويميد البيت بالضجة
آه أنقذيني !
إنني أسقط يا أمي[1]
تعالي ...أنقذيني
إنني أغرق في قاع المحيط
وكلاب البحر من حولي
ومن حولي يدور الإخطبوط
وأنا أعلم أن الموت
يا أمي

[1] – المرجع السابق نفسه ص 66/65

فتيا يشتهيني
فتعالى.... واشتريني
أنقذيني ... أنقذيني[1]

فالرموز في هذه القصيدة (الريح، القطار) رمزان لأحاسيس الخوف والدمار التي اجتاحت نفسية الشعر فهو يحس بخطر هائج يتقدم نحوزه ليحطم كرامته ويهدم كيانه ، فينهار حصن المقاومة (الجدار) فيسقط في قاع المحيط فتسفل مكانته ويضعف شأنه، فيصبح لقمة سائغة لكل من يشتهيه بعد أن فقد كل مقومات القوة والصمود، فتتكاثر حوله (كلاب البحر) رمز القوة المفترسة الجبانة، فهو عرضة لأن يلتف حول رقبته الإخطبوط الذي لا يستطيع الإنسان الإفلات من حبال عضلاته.

فهذه الرموز الجزئية والصور الاستعمارية تنقل التجربة الشعورية وأحاسيسها المرافقة على أحسن وجه، وتكشف بقوة عما يدور في خلجات نفس الشاعر "سميح القاسم" ومدى قوة تعبيره عنها .

أما الشاعر "توفيق زياد" فقد كان أقوى الشعراء الأرض المحتلة فنا وتجربة، تتضح في شعره الفكرة العميقة والكلمة الجريئة النافذة، يبوح شعره بعاطفة الحب للوطن المحتل متشحة بنوايا مخلصة ، ولعله أكثر شعر الأرض المحتلة توفيقا من حيث النهاية السعيدة المشرقة بالتفاؤل، فقليلا ما نجده يشكو،ومعظم قصائده تنتهي بنهاية سعيدة، ولعله أخذها عن المدرسة الواقعية الاشتراكية وأثر "ناظم حكمت" و"مايكو فسكي" ويتجلى ذلك أكثر من خلال تقسيم القصيدة إلى جمل شعرية قصيرة.[2]

كما يظهر من خلال قوة تشبثه بأرض فلسطين وتعد قصيدته " هنا باقون" (1965) أجمل ما قيل في هذا الموضوع ، ورفضه الانسحاب من فلسطين، وكأن كلماتها صخور جرفها

---

(1) – المرجع السابق نفسه ص 66/65

(2) – أنظر نشاوي نسيب، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية ص443/442

سيل عارم، فأقبلت تهوي غاضبة ثائر متفجرة في نبرة خطابية مباشرة يواكبها عنصر جمالي من عناصر التصوير الفني الحسي والمعنوي وفيها يقول:

كأننا عشرون مستحيل
في اللد والرملة والجليل
هنا... على صدوركم، باقون كالجدران
وفي حلوقكم
كقطعة الزجاج ، كالصبار
وفي عيونكم
زوبعة من نار
نجوع ، نعرى، نتحدى
ننشد الأشعار
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الأطفال جيلا ثائرا ...وراء جيل
إنا هنا باقون
فلتشربوا البحر
نحرس ظل التين والزيتون
ونزرع الأفكار كالخميرة في العجين
برودة الجليد في أعصابنا
وفي قلوبنا جهنم الحمراء
إذا عطشنا نعصر الصخر
ونأكل التراب إذا جعنا ... ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل
هنا ... لنا ماضي...وحاضر...ومستقبل.[1]

[1] – أنظر "مجلة الثقافة المصرية" العدد 1974/94 ص 55

وهكذا نجد " توفيق زياد" كغيره يعبر عما يدور داخل نفسه بعاطفة جياشة ولا تغيب عن ذاكرته آلام الأمة العربية إذ يظل جرحها يدميه عبر أشعاره.

وبهذا نخلص إلى هؤلاء الثلاثة "محمود درويش، سميح القاسم وتوفيق زياد" أبعد شعراء الأرض المحتلة شهرة، واتصفوا جميعا بالعاطفة الوجدانية الواعية، والتجاوب مع المشكلات اليومية التي تواجه العربي في ظل احتلال صهيوني ، وبذلك احتفى الأدب العربي بقصائد هؤلاء وهكذا فالأعمال الأعظم هي الأبقى والزمن وحده يصفي وينتقي ويخلد.

وعلينا ان ننسى الشعراء الآخرين الذين وهبوا حياتهم كلها من أجل فلسطين والدفاع عنها بأنات يفتح لها القلب وتذرف لسماعها المدامع وعلى رأسهم "إبراهيم طوقان " وأخته "فدوى طوقان" و" سلمى الخضراء الجيوسي" و" محمد العدناني"و "وكما ناصر" فواز عيد " و"حنا أبو حنا" و"يوسف الخطيب" وأخيرا "هاشم الرشيد " القائل:

حملت عمر الثائرين ولم أجد يوما ولا مالت بي الهبوات
وسلكت درب الشوك يدمي خطوتي وعرفت كيف تصارع القوات[1]

[1] – نسيب نشاوي "مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية ص189

الفصل الثاني

الذاتية في شعر فدوى طوقان

- نموذج للذاتية في الشعر العربي الحديث

أ/ قصيدة (أنا) لنازك الملائكة

- ملامح الذاتية عند الشاعرة (فدوى طوقان) "محور الدراسة

أ/ حياتها ونشأتها

ب/ فدوى والشعر

ج/تحليل قصيدتها (حياتي)

د/ ملحق لبعض أشعار فدوى الذاتية

1-نموذج للذاتية في الشعر العربي الحديث:

اخترنا أن تكون دراستنا لنموذج الذاتية في الشعر العربي الحديث للشاعرة العراقية "نازك الملائكة" في قصيدتها المعنونة ب "أنا" التي تنم عن حروف الذات الأربعة بمعنى الكلمة فمن تكون نازك الملائكة؟

أ) نازك الملائكة نشأتها وحياتها:

نازك الملائكة (*1923*،...) شاعرة وناقدة من العراق ولدت ببغداد ، ونشأت في بيئة أدبية خالصة من أم شاعرة وأب وخال شاعرين، وقد كانت تجالس أباها في مجالسه الأدبية في طفولتها ، فشجعها أبوها كثيرا على نظم الشعر، إذ نظمت أول قصيدة وهي في سن العاشرة من عمرها، أثناء دراستها في بغداد ، ثم انتسبت إلى دار المعلمين العالية "كلية التربية" حاليا فتخرجت بشهادة الليسانس بدرجة امتياز عام (*1944*) ، ثم ولت وجهتها شطر الولايات المتحدة الأمريكية وتخرجت من جامعة "وسكونس، بشهادة الماجستير في الأدب المقارن في (*1950*) أجادت نازك اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وعملت فيما بعد أستاذة مساعدة في كلية التربية بجامعة البصرة، ومثلت العراق في مؤتمر الأدباء العرب ببغداد عام (*1965*) من دواوينها "عاشقة الليل" (*1947*)، "قرارة الموجة" (*1957*) ، "شجرة القمر" (*1968*) "مأساة الحياة وأغنية الإنسان" (*1970*)، وأيضا شظايا ورماد " (*1949*).[1]

ولها في النقد "قضايا الشعر المعاصر"(*1962*)، و"علي محمود طه" وغيرها من الكتب جمعت أشعارها في مجلدين بعنوان "ديوان نازك الملائكة ونشرتها دار العودة ببيروت(*1971*).[2]

[1] - د / نشاوي نسيب "مدخل إلى دراسة المدارس الادبية ص512

[2] - أنظر الملائكة نازك "قضايا الشعر المعاصر " بيروت 1962 ص37

كانت نازك في بداية مشوارها منشغلة بانشغالات واهتمامات الرومانسية، لكنها تحولت واتجهت نحو الرمزية في أواخر إنتاجها غير أنها بقيت محتفظة ببعض القصائد الرومانسية المعبرة عن وجدان ذاتي وعاطفي.

النص:

الليل يسال من أنا
أنا سره القلق العميق الأسود
أنا صمته المتمرد
قنعت كنهي بالسكون
ولففت قلبي بالظنون
وبقيت ساهمة هنا
ارنو وتسألني القرون
أنا من أكون ؟
والريح تسال من أنا
أنا روحها الحيران
انا مثلها في لا مكان
نبقى نسير ولا انتهاء
نبقى نمر ولا بقاء
فاذا بلغنا المنحى
خلناه خاتمة الشفاء
فاذا فضاء !
والدهر يسال من انا
انا مثله جبارة اطوي عصور
واعود امنحها النشور
انا اخلق الماضي البعيد

من فتنة الامل الرغيد
واعود ادفنه انا
لا صوغ لي امس جديد
غده جليد
الذات تسال من انا
أنا مثلها حيرى احدق في الضلام
لا شيىء يمنحني السلام
أبقى أسال والجواب
سيظل يحجبه سراب
وأظل احسبه دنا
فإذا وصلت إليه ذاب
وخبا وغاب

ب)قراءة وتحليل للقصيدة

أول ما نبدأ به دراستنا هو الإشارة إلى أن نازك الملائكة كتبت قصيدته هته عام (*1948*) [1]، فهو ينتمي إلى بدايات والخطوات الأولى لنازك في مغامرة التجديد،ولو رجعنا إلى العنوان "أنا" لوجدناه للوهلة الأولى يتكون من حروف ضمير المتكلم المفرد(أنا) إي ثلاث حروف،لكن في حقيقة الأمر هي أربع حروف (في استخدام بيانا يفرض حرفا رابعا غائبا موحى به هو ياء المتكلم فالا ناهي اناي عند التلفظ)[2] ، فنازك تقول أنها اناي وفريدتي وذاتي

ونازك بصفة عامة تولي العنوان أهمية خاصة فهي تركز على صفحات الجمال والأصالة والابتكار في العنوان فضلا عن الدلالة على اتجاه الشاعر وشعره.

[1] – الملائكة نازك " ديوان نازك الملائكة " مج 2 بيروت 1986 ص115/114

[2] – السكر حاتم "كتابة الذات في وقائعية الشعر" ط1 دار الشروق – الأردن 1994 ص251

والقصيدة التي نحن بصدد دراستها تتكون من اثنين وثلاثين بيتا تتوزع على الصفحات الأربعة في الديوان بمعدل ثمانية أبيات في كل صفحة، تشكل مقطعا من أربع مقاطع، تبدأ بلازمة متكررة تمثل المفتتح الاستفهامي.

وقد تكررت لفظة (أنا) ثلاثة عشرة مرة في القصيدة، أي فهي تتكرر مرة كل بيتين ونصف من أبيات القصيدة تقريبا، فالشاعرة هنا لا تقصد الاستخدام النحوي واللغوي للضمير (أنا) بقدر ما تقصد استخدام دلالته الرمزية.

والشاعرة من خلال القصيدة عرفت كيف تمزج ذاتها مع الطبيعة أو ما تتشكل عبره من مظاهر وتنسب نفسها إليه فهي (سر الليل) و(روح الريح) وهذا التداخل بين الإنسان والطبيعة شائع في الشعر الرومانسي وكذلك في الرسم فالشاعر يرى نفسه من خلال الطبيعة ، وفي المقطعين الأخيرين نجدها تتدرج إلى أنها (مثل الدهر، مثل الذات الحائرة).

واختيارها هذه العناصر الأربعة لها مدلول فكري أيضا فهي تؤطر نفسها بزمان الليل وبحركة ضاجة (الريح) ثم تنسب نفسها إلى (الدهر) في حركته المعبرة عن الحياة والقدر ورغم استعارت نازك من الطبيعة ما يؤاخي نفسها بها تظل تعاني الكآبة والانكسار الرومانسي ، فهي لا ترى في موجودات الطبيعة قوة أو جلدا ، بل تنفذ إلى أعماقها لترى حيرتها وسكونها وضياعها في (لا مكان).

وقد أجادت نازك في الهندسة الشكلية للنص وهذا ما يتم عن تخطيط مسبق مما يخلق تناظرا مدروسا بين أبيات كل مقطع وبينها وبين المقاطع الأخرى، كما أن عدد التفعيلات خاضع لحساب دقيق ومكرر بشكل منظم

فالبيت الأول في أعلى اليمين (مكون من ثلاث تفعيلات) ثم باقي الأبيات من تفعيلتين أما البيت الأخير في أقصى اليسار مكون من تفعيلة واحدة، فيمكن اعتبار بيت المفتتح الاستفهامي كناية عن الولادة أو البدء الناقص، والبيت السداسي الأول الطويل هو بيت النمو، ثم ترمز الأبيات الأخرى التناقض والانطفاء، وهذا الحساب العددي للأبيات يرشح لعدة تأويلات

منها : البيت الأول على اليمين كما قلنا هو بيت الولادة ،الأبيات الستة هي أيام الأسبوع أو الأسبوع أو أيام الحياة المخصصة للإنسان أما البيت الثامن فهو بيت الموت والانقضاء.

وقد ترمز المقاطع الأربعة أيضا للقصيدة للفصول الأربعة وبين موتها ثم انبعاثها من جديد، وهذا ما يحيلنا إلى أسطورة "تموز" فبعد كل انطفاء وانتهاء مقطع تبدأ الشاعرة مقطعا جديدا بقوة وتصميم لتقودنا للغياب في نهايته.

ولو لاحظنا إلى انتهاء المقاطع على التوالي بسؤال حائر (من أكون) ثم فضاء مفاجئ (فإذا فضاء) وغدا مرشح للانقضاء " كالأمس غده جليد"، وتختمه نهائيا بتأكيد الانطفاء ، ذوبان (للجليد) وخبو (للنار) وغيابا (للشمس أو القمر) إنما تريد أن تعيد صنع الأسطورة الرمزية لنزول "تموز" الموسمي أو الفصلي.

كذا يمكن اعتبار سؤال الحيرة الذي ختم المقطع الأول كناية عن البدء أو الفصل الأول فصل الولادة، والثاني أبدانا بفضاء أو امتداد صيفي، أما الجليد المنتظر في المقطع الثالث فيذكرنا بشتاء قارص قادم في الغد... وبهذا تترتب فصول نازك الشعرية أو فصول ذاتها الحائرة ليغدوا الخريف آخرها ففيه ذاب كل ما قصدته وخبأ وغاب والذي يغوص في أعماق هذه القصيدة يجد لها عدة قراءات وتفسيرات..

أما ما يخص القافية فنلاحظ تقفية كل بيت معا، ففي المقطع الأول مثلا نجد قافية المفتتح الاستفهامي(ا)، هي نفسها قافية البيت السداسي، وقافية البيت الثاني والثالث واحدة (د) والرابع والخامس والسابع هي (ن) ، وهذه التقفية لنازك تتكرر في المقاطع كلها مما يعكس الثنائية المحكمة في نازك وميولها الإيقاعية التي تمثل مرحلة انتقالية بين التقفية التقليدية والنظم الحر، كذلك نلاحظ في تقفية البيت السادس في كل مقطع بقافية واحدة واحدة هي نفسها في كل المقاطع الأخرى ويشكل معه مقطعا داخليا يلخص حكمة النص ومركزية الأنا، ونجد أيضا هذا البيت يبدأ بحرف (الواو ثلاث مرات والفاء مرة واحدة)، وتلي الحرف ثلاثة كلمات في كل

شطر وتختتم الأبيات بالألف وهو حرف أصلي هنا لا ألف الإطلاق إنه ألف (الأنا) الذي يشعر بالقوة والسلطة.

أما الجانب الدلالي في النص ، فهو يحوي على حقول دلالية ثلاث وهي تتدرج من القوة على العتمة فالانحلال والذوبان.[1]

هكذا ونحن نحل ألغاز هذا النص توصلنا إلى أن نازك كانت على وعي وتخطيط كبيرين وهي تنسج خيوط هذه القصيدة الممتعة ، فعرفت كيف تستثمر فضاء الكتابة وتستفيد من سطح الورقة لتضع القارئ في لغز ق الأنا " الذي أغرقت فيه الشاعرة نفسها وشعرها وقارئها أيضا، كما جسدت ما يدور داخل خلجات النفس الداخلية مع مركزية الذات التي عبرت عنها الأنا بحروفها الأربعة.

2-ملامح الذاتية عند الشاعرة فدوى طوقان:

أ/ نشأتها وحياتها:

هي الشاعرة فدوى عبد الفتاح آغا طوقان ، ولدت عام (*1917*) بفلسطين تحمل الجنسية الأردنية ، تلقت تعليمها الابتدائي في نابلس ثم ثقفت نفسها ، التحقت بدورات اللغة الإنجليزية والأدب الإنكليزية ، كانت عضو في مجلس أمناء جامعة النجاح بنابلس، حضرت العديد من المهرجانات والمؤتمرات العربية والأجنبية، كما حصلت على عدد كبير من الجوائز من بينها: جائزة رابطة الكتاب الأردنيين (*1983*)، جائزة السلطان العويس (*1987*) جائزة ساليرنو للشعر من إيطاليا و"وسام فلسطين للشعر" (*1996*).

لها عدة دواوين شعرية أولها وحدي مع الأيام (*1952*)، وجدتها (*1958*) ،أعطنا حبا(*1960*) أمام الباب المغلق (*1967*) الليل والفرسان (*1969*) على قمة الدنيا وحيدا (*1973*) تموز والنشيد الآخر (*1989*)، لها أيضا كتاب قديم أخي إبراهيم (*1946*).

[1] - أنظر ، المرجع السابق ص261/260

أما سيرتها الذاتية الشهيرة رحلة جبلية رحلة صعبة التي صدرت عام *1985* والتي تروي فيها تفاصيل طفولتها وشبابها ونضوج تجربتها الشعرية وتنتهي بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية في حزيران *1967*، وقد كتب "أوليفي كيني" عن هذه السيرة *1990* ، وقد أصدرت فدوى الجزء الثاني من سيرتها الذاتية بعنوان" الرحلة الأصعب" في *1993* تروي من خلالها أيضا عن حياتها وحياة شعبها خلال الاحتلال الإسرائيلي.

صدرت عنها دراسات أكاديمية (الماجستير والدكتوراه) في عدد من الجامعات العربية والأجنبية ، كما كتبت عنها دراسات متفرقة في الصحف والمجلات العربية ، إلى جانب كتابات أخرى لكل من "إبراهيم العلم " و" خليل أبو أصبع" و"بنت الشاطئ " و"هانئ أبو غضيب" و" عبير أبو زيد" ... ومن الكتب الجديدة حول فدوى طوقان كتاب من إبراهيم طوقان إلى شقيقته فدوى وهو كتاب جديد يكشف دور الشاعر إبراهيم طوقان في تثقيف أخته فدوى عبر الرسائل، وكان المصدر الأول الذي يحقق ذلك هو القرآن الكريم، وغيرها من الدراسات والكتب الحديثة إلى يومنا هذا.[1]

ب/ فدوى والشعر

تعرفت فدوى لعالم الشعر عن طري أخيها "إبراهيم طوقان" كما قلنا آنفا، عالج شعرها الموضوعات الشخصية والاجتماعية ، وهي من أوائل الشعراء الذين عملوا على تجسيد العواطف في شعرهم، ووضعت في ذلك أساسيات قوية للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتاج المرأة على المجتمع، وقد مر شعرها بمرحلتين:

أولا – ما قبل حزيران 1967

حيث كانت فدوى أشهر من عرف في عهد الانتداب من الشعراء، وقد تطورت بشكل مختلف فأغنت الشعر العربي بالشعر الرشيق الذي يعبر عن اكتشاف الأنثى لذاتها وكان يغني مشاعرنا الذاتية كامرأة شرقية تعيش فكرة الحب ضمن حدود مغلقة، وتفتح بوحها الإنساني

[1] – أنظر موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر " ج2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت 1979 ص86/85

على الآخرين المحبين برومانسية معذبة حزينة لكنها شفافة ورقيقة ، إلا أن هذا الحب عند فدوى لم يكن مجرد علاقة برجل وحب له، وإنما كان صداقة حية غنية بالمشاعر الطيبة الصافية، زمن خلال صفحات دواوينها الأولى تظهر انعكاسات هذه النزعة الذاتية وطوابعها من شوق مبحوح إلى المجهول ، وضياع في عالم من القلق والتشاؤم والغربة الروحية.

وعكوفا على "الأنا" واجترار للانفعالات والأحزان الشخصية، ورغبة عاتية في الهجرة نحو أكوان ودنيوات مسحورة معطرة، وخوف من المجتمع الشرقي القديم وتقاليد الصارمة حيث تقول:

أنظر هنا...
الصخرة السوداء شدت فوق صدري
بسلاسل القدر الغبي
بسلاسل الزمن الغبي
أنظر إليها كيف تطحن تحتها
ثمري وزهري
نحتت مع الأيام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي.[1]

ثانيا – وبعد وقوع النكسة الحزيرانية الأليمة : فإذا بشاعرتنا تنطلق من حدود ذاتها وأفقها الدائر حول نفسها إلى منطلقات الحياة العربية التي تحترق بوحشية المستعمرين، وتدافع عن وجودها ببسالة، وعندئذ يبدأ خط جديد مشرق يتسطر في تاريخ الشعرة التي أصبحت تعيش في نابلس فتعاني وطأة الاحتلال الصهيوني البغيض وتقاوم ناره وحديده وجبروته جنبا إلى جنب مع الفدائيين الأبطال، بأشعارها الملتهبة وقصائدها النابضة بدم جديد ورعشة حارة وإيمان صلب لفتاة عربية تريد أن تقول شيئا في معركة العمل من أجل النصر والتحرير.

[1] – طوقان فدوى "ديوان فدوى طوقان ، دار العودة ، بيروت 1978 ص 125

والواقع أن هذا الخط بدأ يتسطر فعلا بعد لقاء الشاعر الفلسطينية بزملائها من الشعراء الشباب في الأرض المحتلة أمثال "محمود درويش، توفيق زياد، وسميح القاسم" فقد رأت فيهم عنوانا للصمود والمقاومة في وجه التحديات الصهيونية، وصورة الغربة الباغية التي لا تزال وسوف يبقى يعيشها الإنسان الفلسطيني وهو في وطنه مع تصميمه على النضال والاحتجاج والرفض، واستمات في وجوههم النظرة مرافئ الأمل والضياء ممثلة بصبرهم ونضالهم، وثقتهم بالانتصار رغم النكسة الفاجعة.

وكان من حصاد هذا اللقاء الأخوي قصيدة فدوى الرائعة " لن أبكي" التي نشرتها بعد عدوان حزيران ، وكانت بداية التحول الكبير في شعرها وموقفها، حيث انتقلت من مرحلة شعرية إلى أخرى، من مرحلة السلبية والتقوقع والبكاء إلى المرحلة الإيجابية مرحلة الانفتاح والنضال، أو بمعنى آخر منت التيار الرومانسي الانعزال إلى التيار الواقعي الملتحم بقضية المصير والجماهير، وهي تهدي قصيدتها هاته إلى شعراء المقاومة ذكرى لقائها بهم في مدينة "حيفا" وتخاطبهم بأعلى درجات الإيمان بالعمل الفدائي إذ تقول:

أحبائي
حصان الشعب جاوز كبوة الأمس
وهب الشهم منتفضا وراء النهر
أصيحوا، ها حصان الشعب يصهل واثق النهمة
ويفلت من حصار النحس والعتمة
ويعدو نحو مرفأه على الشمس
وتلك مواكب الفرسان ملتمة
تباركه وتفديه
ومن ذوب العقيق، ومن دم المرجان تسقيه
ومن أشلائها علفا وفيرا الفيض تعطيه
وتهتف بالحصان الحر
عدوا نحو عين الشمس، عدوا يا حصان الشعب

فأنت الرمز والبيرق

ونحن وراءك الفيلق[1]

وهكذا تطور وعي "فدوى طوقان" للواقع حيث أصبح وعيا ثوريا فقررت أن معركة المقاومة بالكلمة التي لها فعل الرصاص في قلب العدو واندفعت تكتب القصائد الواعية الهادفة الحارة العاطفة بعد صمت طويل ذاهل إثر النكسة.

وكذا تعدو فدوى ابنة النكبتين، لكن شتان ما بين فعل الأولى بها وأثر الثانية فنكبة عام *1947* فجرت فيها ينابيع الحزن السد يمي فشغلت بذاتها عن قضيتها المصيرية فهومت على هذه الذات تتزح منها التصورات والخيالات الشاحبة المتعبة، وأما نكسة عام *1967* فقد فعلت بها فعلها العجيب قلبتها رأسا على عقب من شاعرة لا هم لها إلا نفسها وما يدور فيها من الاحتلال الصهيوني الشرس لوطنها، فترسم بألفاظها المشحونة بالعاطفة النبيلة صورة البطولة والكفاح اليومي من أجل الحرية، وتنسى في زحمة هذه العملية الجادة إعادة ذاتها بل تخنق ما يضطرب فيها من انتفاضات داخلية خاصة، وبهذا تتيح لصوتها الشعري أن يزداد أصالة وإبداعا.

ولم تقف عند حدود تجربتها الفنية كواحدة من رائدات الشعر الحديث بل تطورت تطورا واضحا في قصائدها الأخيرة التي تضمنها ديوانها الجديد " على قمة الدنيا وحيدا" فأصبحت من ناحية البناء المعماري لقصيدتها تعتمد على الشكل الدرامي وما يتجه من أجواء متنامية تفسح مجالا طلقا لرسم الموقف الشعري وعلى رسم المقاطع الموسيقية الطويلة المتتابعة بنفس حار متلاحق بدل الشطرة المحدودة التفعيلات المغلقة الإيقاع مما أتاح لشاعريتها أن تلحق بركب التجديد الدائم ونلحظ ذلك في قصيدتها " مع الحزن المعتق" التي أهدتها لزيلها الشاعر "سميح القاسم" ورغبة من الشاعرة في تزيين قصيدتها بوشاح من التجديد الشكلي وأغنائها بمظهر جذاب ، عمدت إلى استعارة بعض وسائل الفن القصصي.

[1] – طوقان فدوى "ديوان فدوى طوقان " دار العودة –بيروت 1978 ص 125

واستعملتها في قصائدها كاستعمالها للحوار الحركي ، والمونولوج الداخلي كما تجلى ذلك في قصيدتها "المدينة الهرمة" وأيضا استعمال التضمينات الصحفية والوثائقية النثرية وذلك بانتزاع التصريحات الرسميين والسياسيين كما وردت وتضمينها القصيدة وغيرها من الأشكال.[1]

- قراءة وتحليل في قصيدة "حياة" لفدوى طوقان:

النص:

حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق، وديوان شعر، وعود
حياتي ، حياتي أسى كلها
إذا ما تلاشى غدا ظلها
سيبقى على الأرض منه صدى
يردد صوتي هنا منشدا
حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر، وعود
بليل الشجون
وعمق السكون
تمر أمامي كحلم سرى
طيوف أحبابي تحت الثرى
فترعج ناري خلف الرماد
وفرق سيل الدموع وسادي
دموع الحنين
إلى راحلين

[1] – أنظر السكاف ممدوح "دراسة في رحلة في عالم فدوى طوقان " مجلة الشؤون الفلسطينية ع 88 بيروت ص196/195

مضوا وطواهم ظلام اللحود

بقلبي اليتيم

تنادي كلومي

أطل بروحك يا والدي

لتنظر من أفقك الخالد فموت ذل لنا أي ذل

ونحن هنا بين أفعى وصل

ونفث سموم

وكيد خصوم

بدنيا العقوق بدنيا الجحود

ويبدو خيال

يغفو الليالي

خيال أبي شق حجب الغيوب

بعينيه ظل شعور كئيب

أراه فتهمى له أدمعي

ويحنو عليا ويبكي معي

وأدعو : تعال

رحيلك طال

بمن نستظل وأنت بعيد !

وفي ليل سهدي

يحرك وجدي

أخ كان نبع حنان وحب

وكان الضياء لعيني وقلبي

وهبت رياح الردى العاتية

وأطفأت الشعلة الغالية

وأصبحت وحدي

ولا نور يهدي
ألجلج حيرى بهذا الوجود
وهذا شبابي
أمان كوابي
شباب سقاه الأسى ورواه
إذا ما دعته إليها الحياة
وأشواقها ، شده ألف غل
وطوقه ألف طوق مذل
شباب عذاب
رهين اغتراب
يضيع شداه بأسر القيود أطرق رأسي
بوحشة يأسي
وفي الروح تصخب أشواقها
وفي النفس ترعد آفاقها
وأفزع للشعر سلوه روحي
أصور أشواق عمر ذبيح
فيهدأ حسي
وتخشع نفسي
وتسكن لهفة روحي الشريد !
وأجذب عودي
لقلبي الوحيد
فتخفق أوتاره باللحون
تهدهد قلبي وجلو شجوني
بفني وشعري وألحان عودي
أصارع آلام عمر شهيد

وهذا نشيدي
نشيد وجودي
سيبقى ورائي صداه يعيد :
حياتي دموع
وقلبي ولوع
وشوق، وديوان شعر ، وعود !(1)

ج/ قراءة وتحليل للقصيدة:

عنوان القصيدة التي نحن بصدد دراستها مكون من كلمة واحدة تحوي أربع حروف (حياتي) إضافة إلى الحرف الخامس المضمر (ياء العائدة) وكأن الشاعرة تريد أن تقول حياتي أنا وفرديتي وذاتي ، وفدوى تختصر حياتها كاملة في هذه اللفظة ذات الدلالة القوية وما تحمله من دلائل والمتتبع لهذه القصيدة يرى طغيان ضمير المتكلم المتصل (الياء) بكثرة نحو (حياتي، صوتي، ناري، وسادي، قلبي، كلومي، وجدي، سهدي... وحدي... الخ) ولو قمنا بعملية إحصائية لهذه الياء العائدية على ذات الشاعرة نجدها تقارب الثلاثين مرة إضافة إلى وجود ضمائر مستترة تقديرها أنا أو هي تعود على الشاعرة هذه الأخيرة التي تطلق العنان لقلمها ليخط ويعبر عما يختلج صدرها وما تحتويه نفسها، فهي تتحدث من خلال قصيدتها هاته عن حياتها الوحيدة المليئة بالدموع والأسى وقلب ولوع وإذا ما أطاح الليل بسكونه تمر أمامها ذكريات أحبائها كحلم سري، فتزداد نار قلبها لهيبا ويغرق سيل الدموع وسادها بدموع الحنين إلى راحلين مضوا وطواهم ظلام اللحود ، وبقلب يتيم تنادي كلومها تترجى عودة روح أبيها مرة ثانية، فخيال أبيها شق حجب الغيوم ليبدو خياله وصورته أمامها فتزداد دمعا وكأنه يحنو عليها ويبكي معها، فلا ظل لها بعد أبيها وهو بعيد وإذا ما أرادت أن تغمض عينيها برهة حتى تفاجئها من جديد ذكرى أخ كان نبع حنان وحب وكان بمنزلة الشمس على الأرض ونباتا وباقي الكائنات، لكن هيهات فقد هبت رياح الردى العاتية وأطفأت الشعل الغالية وأصبحت وحيدة

(1) – طوقان فدوى "ديوانها وحدي مع الأيام دار العودة – بيروت ط4 1974 ص46/45/44

تائهة حيرانة في هذا الوجود وتعود مرة أخرى لتتذكر أيام شبابها الذي سقاه الأسى، ورواه إذا ما دعته إليها الحياة، لكنه في الأخير يبقى ويظل شباب عذاب رهين اغتراب، يضيع شداه بأسر القيود، لتطرق رأسها بوحشة يأس وفي الروح تصخب أشواقها، وفي النفس ترعد آفاقها وهكذا يطيل عليها الليل بهمومه وأثقاله ولا تجد من متنفس سوى شعرها سلوة روحها، لتصور من خلاله أشواق عمر ذبيح فتهدأ قليلا وتخشع نفسها وتخمد شعلة نارها المتوهجة ، ومن ثمة تلاعب عودها أنيس قلبها الوحيد فتخفق أوتاره باللحون، وهي تصارع آلام عمر شهيد مرددة نشيد وجودها وسيبقى ورائها صداه يعيد:

حياتي دموع

وقلب ولع

وشوق، وديوان شعر، وعود.

وهذا النص إذا ما ترجمنا بعض كلماته ومصطلحا ته إلى تجسيدات نصية ذات ملموسية ومقصديه تظهر بالقراءة، فالطبيعة المرمزة بالرياح وغيرها والفردية المشار إليها بذاتها ما هي إلا تمظهرات تتوسل بالعاطفية والغنائية ،الخيال والشعور بالحزن، الصراع، العزلة ، الوحدة ...وهذا ما يكشف على أن الشاعرة كتبت قصيدتها "حياة) في فترة انشغالها بالرومانسية قبل أن تتحول إلى الرمزية لأن الرومانسي يجهد التوفيق بين الذات والموضوع بين الإنسان والطبيعة بين الوعي واللاوعي يعرف كيف يغرق ويسبح في خيال واسع وهذا طبعا إنما يتم بطريقة شعرية مندفعة بتوتر وهياج.

فالشاعرة عرفت كيف تمزج ذاتها من خلال عناصر الطبيعة ولتعبر من خلالها عن وحدتها وانفرادها أما الرياح فهي كناية عن إغراقها في زوبعة من الذكريات والمآسي والآلام لنجد لفظة النار هي الأخرى التي تعبر عن مدى لهيب قلبها لهذه الذكريات ولو تركنا هذا الأمر جانبا،لأن الحديث في تقصيه ربما قد لا ينتهي ولنعرج قليلا على الهندسة الشكلية لهذه القصيدة فهي تتوفر على هندسة شكلية رائعة محكمة التصميم تبدأ بلازمة واحدة وتختتم بها وهي عبارة عن بداية ونهاية خارجيتين مكونة من شطرين فوق بعضهما البعض لمقدار تفعيلتين لكل منها

أما الشطر الثالث فيحوي أربعة تفعيلات لكل بين فيختم المقطع كذلك بشطرين قصيرين وشطر ثالث طويل شأنه شأن اللازمة التي ذكرناها قبل وبهذا يكون مجموع الأبيات التي يتكون منها المقطع تسعة أبيات وهندسي للمقاطع يتسلسل في كاملها عدا المقطع الأول منها الذي يبدأ مباشرة بالأبيات الأربعة الطويلة ، وبهذا النظام نلمح تخطيطا للقصيدة من طرف الشاعرة.

أما فيما يخص جانب التقفية فنلاحظ ميزة تنطبق على فدوى في أغلب أشعارها وهي ثنائية القافية فنجد قافية الشطرين القصيرين اللذين يبدأ بهما المقطع هي قافية واحدة سواء في البداية والنهاية أي في بداية المقطع ونهايته لكن هذه القافية تختلف من مقطع لأخر.

أما الأبيات الطويلة التي يحتويها المقطع الواحد فنلاحظ تقفية البيتين الأولين بقافية واحدة والبيتين الباقيين بقافية أخرى كذلك، غير أن تقفية البيت الأخير من المقطع بعد الشطرين القصيرين فله قافية واحدة في جميع مقاطع القصيدة وهذا ما يحاكينا إلى وقع ونغم موسيقي هائل فبمجرد أن نصل مثلا إلى هذا الشطر في المقطع الثاني أو الثالث يحيلنا إلى نظيره في المقطع الأول وهكذا دواليك.

ولو رجعنا إلى الجانب الدلالي للنص فإننا نلمح حقلين دلاليين أولهما حقل الضعف والانهيار الناتج عن معاناة الشاعرة من حياة العزلة والإنفراد وهذا ما ترجمته بعض الكلمات الموحية بذلك مثل "دموع ، أسى ، تلاشي، يغرق ، كلومي، كئيب، يبكي" لكن الشاعرة تداركت ذلك لتعود في آخر النص إلى الحقل الثاني وهو حقل القوة والانبعاث من جديد بفضل كتابتها للشعر الذي هو بمثابة الأنيس والمتنفس الذي يخفف عنها ما هو ناتج عن تلك العزلة والوحدة.

ومهما قلنا وقلنا فتبقى الشاعرة فوق كل اعتبار لأنها ربما كتبت هذه القصيدة في أولى مراحلها قبل أن تتحول إلى شاعرة يشهد لها التاريخ والشعر في كتابها لقصائد سواء كانت ذاتية أو موجهة لإيقاظ المجتمع من سباته العميق، وهذا ما يجعلها تحتل القمة والريادة لشعراء عصرها، خصوصا شعراء الذاتية.

د/ ملحق لبعض أشعار فدوى الذاتية:

من الأعماق

سرت وحدي في غربة العمر ، في التيه المعمى تيه الحياة السجين
لا أرى غاية لسيري... ولا أبصر قصدا يوفي إليه طريقي
ملل في صميم روحي ينساب وفيض من الظلام الدفوق
وأنا في توحشي، تنفض الحيرة حولي أشباح رعب محيق
سرت وحدي في التيه ، لا قلب يهز صدى خفقه بقلبي الوحيد
سرت وحدي ، لا وقع خطو سوى خطوي على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب لا دليل، غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمود الحياة يضفي على عمري ظل الفناء ... ظل الهمود[1]

نـــار ونور

بجسمي قفقفة وانخذال
فيا نار زيدي لظى واشتعال
ومدي بجوي دفء الجناح
فللبرد عربدة واجتياح
أما تسمعين احتدام النضال
نضال العواصف فوق الجبال
وأنت اعصفي واملئي ليلتي
بدفء يهدئ من رعدتي[2]

[1] – طوقان فدوى ديوان وحدي مع الأيام ص63/62
[2] – المرجع نفسه ص92/91

خريف ومساء

وانا في شرفتي أصغي إلى اللحن الأخير
وقعته في وداع النور أجواق الطيور
فيثير اللحن في نفسي غما واكتئاب
ويشيع اللحن في روحي ارتباكا واضطرابا
أي أصداء له تصدم أغوار شعوري
ذلك جسمي تأكل الأيام منه والليالي
وغدا تلقب إلى القبر بقاياه الغوالي
وي ! كأني ألمح الدود وقد غشى رفاق
ساعيا فوق حطام كان يوما بعض ذاتي
عانتا في الهيكل الناخر ، يا تعس مآلي !
كله يأكل ، لا يشبع من جسمي المذاب
من جفوني من شفافي من عروقي من إهابي
وأنا في مضجعتي الكبرى وحضن الأرض المهدي
لا شعور ، لا انفعالات ولا نبضات وجد
جثة تنحل في صمت، لتفنى في التراب
حيرة حائر كم خاطت ظني وهجسي
عكست ألوانها السود على فكري وحسي
كم تطلعت ، وكمن ساءلت: من أين ابتدائي؟
ولكم نادية بالغيب : إلى أين انتهائي؟
قلق شوش في نفيسي طمأنينة نفسي[1]

[1] – المرجع السابق نفسه ص11

أشــواق حائر

ماذا أحس ؟ هنا بأعماقي ترتج أهوائي وأشواقي
بي ألف إحساس يحرقني متدافع التيار، دفاق
ألف انفعال ألف عاطفة محمومة بدمي، بأعراقي
ماذا أحس؟ أحس بي لهفا حيران يغمر كل آفاقي
جفت له شفتاي وارتعشت أضلاله العطشى بأحداقي
نفسي موزعة معذبة بحنينها بغموض لهفتها
شوقي إلى المجهول يدفعها مقتحما جدران عزلتها
شوقي إلى ما لست أفهمه يدعو بها في صمت وحدتها
أهي الطبيعة صاح هاتفها أهي الحياة تهيب لابنتها
ماذا أحس، شعور تائهة عن نفسها تشقى بحيرتها
قلبي تفور به الحياة وقد عمقت ومدت فيه كالأمد
فتهز أغواري نوازعه صخابة ، دفاقة المدد
ويظل منتظرا على شغف ويظل مرتقب على وقد
أحلام محروم تساوره متوحد في العيش منفرد
ويود لو تمضي الحياة به للحب مصدر فيضها الأبدي
روحي يلوب بدار غربته عطشا إلى ينبوعه السامي
فهناك أصداء يسلسلها صوت السماء بروحي الظامي
وهنا ، هنا في الأرض يهتف بي صوت يقيد خطوة أقدامي
صوتان، كم لجلجلت بينهما يتنازعان شراع أيامي
وأنا كيان تائه قلق يطوي الوجود حنانه الظامي

في ضباب التأمل

في ليلة مجنونة الإعصار ، ثائرة مثيرة
تتراقص الأشباح فيها خلف نافذتي الصغيرة
ألقيت فوق وسادتي آلام روح مثقل
مهدومة الآمال أسبح في ضباب تأملي
ومضيت شاردة أقلب في الظلام كتاب عمري
صور، وأطياف كئيبات، تلون كل سطر
فهناك خيال شاحب لم ترحم الدنيا ذبوله
هذا خيال طفولة تدر ما مرح الطفولة
وهنا صبا عضت عليه قيود سجن واضطهاد
باك ، دوت أيامه خلف انطواء وانفراد
وهذا شباب ما يزال يجوس قفرا بعد قفز
متحرق أبدا إلى شيء ...إلى ما لست أدري
تغدوه نيران الحياة لظى فيلتهب التهابا
ويهيم فوق دخانها متعطشا يقفوا السرابا
أحلامه الحيرى معلقة بأفلاك الطموح
دنيا منى، بروح آمال تهاوت للسفوح
وتململت بقفاز قلبي، في فراغ توحدي
نفس تساءل نفسها في حيرة وتردد
لم جئت للدنيا ؟ أجئت إلى غاية هي فوق ظني؟
أملأت في الدنيا فراغا خافيا في الغيب عني؟
أيحس هذا الكون نقصا حينما أخلي مكاني
وأروح لم أخلف ورائي جزءا من كياني
إن كان غيري في وجوههم امتداد للوجود
صور ستبقى منهم يحيون فيها من جديد

فانا سأمضي ،لم أصب هدفا ولا حققت غاية
عمر نهايته خواء فارغ... مثل البداية
هذه حياتي ،خيبة وتمزق يجتاح ذاتي
هذه حياتي ،فيما أحياها ؟ وما معنى حياتي؟[1]

فمن خلال هذه النماذج الحية التي كانت خير دليل على مدى تمكن الشاعرة فدوى طوقان التعبير عن ذاتها وما يختلج صدرها وما تكنه نفسها، ومن ثم كان الشعر ملاذها الوحيد تلجأ إليه للتخفيف عن آهاتها ، وكان بمثابة سجلا لذكرياتها وحاويا لأشواق وآلام ظلت تترقبها واستطاعت من خلال ثنايا هذه المقتطفات أن توضح القلق والتشاؤم ، كما نجدها في دوامة حدود ذاتها وأفقها الدائر حول نفسها، ولكنها تمكنت وبقدرة فائقة أن تعرف كيف تعكس ذاتها من خلال شعرها وبذلك تعتبر فدوى من خيرة الشعراء الذين برزوا في مجال النزعة الذاتية في الشعر العربي عموما.

[1] – المرجع السابق نفسه ص61/60/59

الخاتمة

الخـــــاتمة:

كل ما يمكن أن نستخلصه من دراستنا هاته حول "النزعة الذاتية في شعر فدوى طوقان " أن الشعر مثل المرأة في عكس مظاهر وبواطن الإنسان..

غير أن هذه الأخيرة تعكس ما هو ظاهر فقط ، بينما الشعر قد يعكس ما هو باطن وظاهر ، إذ نجد الشاعر يتخذ من شعره وسيلة للتعبير عما يختلج صدره، وما تكنه نفسه من حيرة وتساؤل وقلق اتجاه العالم الخارجي وآلام ظل يعانيها وباستطاعتنا من خلال قراءتنا للشعر أيضا رسم شخصية الشاعر من خارجها، وإذا كانت فدوى قد فقدت أعز ما تملك في هذا الوجود وهو أبوها وأخوها اللذين كانا نبع حنان وحب ، فإنها استطاعت في الأخير أن تجد من يعوض لها عن ذلك، ومن يخفف عنها وطأة تلك الذكريات المثقلة والآهات المخنقة فكان الشعر سلوه روحها تصور من خلاله أشواق عمر شهيد.

كما نجد أيضا شعراء المقاومة الفلسطينية في المرصاد، فقد أدوا واجبهم اتجاه وطنهم من خلال أشعارهم التي أيقظت النفوس وأصحت الضمائر من سباتها العميق وحركت فيهم النخوة والحمية اتجاه أرضهم، فقد كانت أشعارهم بمثابة المصور الذي يلتقط ما يدور وما يقع من أحداث وربما كان الشاعر أقوى من المصور في ذلك، إذ نجد الشاعر يرصد تلك الأحداث بحماس ثائر ونفس فياضة وهكذا ليبقى الشعر الفلسطيني شاهد على تلك المجازر والخسائر والويلات التي كابدها الشعب الفلسطيني كما يبقى كذلك دليلا على تلك الانتصارات والتحديات التي جناها ذلك الشعب الأبي، ويكفي أنه احتل الريادة والمقدمة في الآداب العربية والعالمية في حمله لمعالم الحنين والتشرد والتمزق والتفاؤل الثوري والرؤية المستقبلية في مثل تلك الظروف الصعبة دون أن ننسى أن فلسطين قد نمت وزرعت في نفوس الشباب المبدعين روح الإبداع من خلال أحداثها وما يدور فيها وبذلك فقد أغنى شعر الأرض المحتلة الأدب العربي عامة بأشعاره ودواوينه يبقى التاريخ شاهدا عليها.

ولاحظنا كذلك من خلال دراستنا هاته كيف استطاع الشاعر أن يعبر عن ذاته تعبيرا دقيقا ينم عن تجربة ذاتية فنية ، سواء عبر الشاعر عن ذاته مباشرة ،أو اتخذ ذاته للتعبير عن غيره بطريقة غير مباشرة من خلال الشعر الفلسطيني والشعر العربي الحديث عامة ،وأعطينا في ذلك نماذج حية ،إضافة إلى أننا تعرضنا في الفصل التطبيقي ومثلنا للذاتية في الشعر العربي الحديث بـ "نازك الملائكة" وبينا كيف أجادت في ذلك سواء من حيث المضمون أو الشكل، وفصلنا للذاتية في الشعر الفلسطيني "فدوى طوقان " محور دراستنا فقد كانت أشهر من نار على علم من هذا المجال، حتى لا يمكننا أن نطلق عليها شاعرة نفسها، حيث سجل شعرها كل حياتها وتفاصيلها منذ طفولتها إلى شبابها آخر مشوارها، وبهذا يمكن اعتبارها زعيمة هذا الاتجاه أو الجانب من الشعر العربي الحديث عموما .

ومن خلال ذلك فقد مثلت فدوى المرأة العربية أحسن تمثيل في مجال الشعر والشعراء.

وبهذا نكون قد أشرفنا على نهاية دراستنا هاته في ميدان الأدب العربي ، وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم عليه توكلنا وهو نعم الوكيل وهو نعم النصير.

الفهارس

فهارس

المصادر والمراجع

الأعلام

الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع:

أ/ المعاجم

1.ابن منظور:لسان العرب، مجلد 09، دار صادر– بيروت

2.جبور عبد النور:المعجم الأدبي، ط02 ، دار العلم للملاين –بيروت 1984

3.صليبا جميل :المعجم الفلسفي، جزء 01 ط 04 دار المعارف –مصر

ب/ المراجع

1.الأسد ناصر الدين:الشعر العربي الحديث في فلسطين والأردن ، مطبعة لجان العرب للبيان– القاهرة1957

2.درويش محمود:ديوان درويش محمود ، دار العودة –بيروت 1977

3.السكر حاتم:كتاب الذات ، دراسة في وقائعية الشعر، ط01 دار الشروق – الأردن 1994

4.شعرانة منصف :أزمة الذات في مقامات الهمذاني ، دار المعارف للطباعة والنشر –تونس

5.طوقان ابرهيم ، دار القدس –بيروت1975

6.طوقان فدوى :وحدي مع الأيام، ط04 دار العودة – بيروت 1974

7.طوقان فدوى:ديوان فدوى طوقان، دار العودة –بيروت 1978

8.عباس إحسان :فن السيرة ،ط05، دار الثقافة –بيروت 1981

9.عبد الرحيم محمود :ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة –بيروت 1974

10. علي محمود طه :ديوان علي محمود طه ' دار العودة –بيروت 1974

11. فاعور احمد ياسين :الثورة في شعر درويش ، دار المعارف للطباعة والنشر – تونس

12. القاسم سميح:ديوان سميح القاسم طبعة 09 –بيروت 1973

13. قاسم عدنان حسين:التصوير الشعري ، ط01، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع –ليبيا 1980

14. القاضي محمد :الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية، الدار العربية للكتاب – تونس1982

15. المالك صالح ورفاقه:النصوص الأدبية

16. محمود العقاد عباس:ديوان العقاد جزء02 مطبعة الهلال – مصر 1983

17. الملائكة نازك : ديوان نازك الملائكة المجلد 02 – بيروت 1986

18. الناعوري عيسى:أدب المهجر ط02 دار المعارف مصر 1967

19. نشاوي نسيب :مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، 1984

20. ياغي عبد الرحمان :حياة الأدب الفلسطيني الحديث، المكتب التجاري– بيروت 1968

ج/ المجلات:

1.مجلة *MIDDEL EAST FORME* ، العدد 01 – بيروت 1967

2.مجلة الثقافة المصرية، العدد 94 – مصر 1974

3.مجلة شؤون فلسطينية ، عدد 88 –بغداد 1972

4.موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر ، الجزء2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 1979

2/ فهرس الأعلام:

- أبو العز طلعت: 12
- أبو شاور رشاد :10
- أبو ماضي ايليا :16
- ألأيوب رشيد :16
- الأنباري : 11
- الحوت شفيق:06
- الرشيد هاشم :24
- الزمخشري طاهر:16
- العبوشي برهان الدين: 07
- القاسم سميح :21-22-23
- الملائكة نازك: 26-27
- جبرا إبراهيم جبرا:03
- درويش محمود :17-18-19-20
- زياد توفيق:23-24
- شكري عبدج الرحمان:14
- طوقان إبراهيم :04-05-06
- طوقان فدوى : 33 -34-35-39-44-46-47
- علي محمود طه: 15
- محمود العقاد عباس :14
- محمود عبد الرحيم :07

عباس إحسان : فن السيرة ط 05،دار الثقافة – بيروت، 1981

عبد الرحيم محمود:ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة – بيروت ، 1974

علي محمود طه :ديوان علي محمود طه ، دار العودة –بيروت ،.1974

فاعور احمد ياسين :الثورة في شعر درويش،دار المعارف للطباعة والنشر – تونس.

قاسم عدنان حسين :التصوير الشعري، ط1 ، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع– ليبيا ،1980

محمود العقاد عباس : ديوان العقاد، جزء02، مطبعة الهلال –مصر، 1983

نشاوي نسيب:مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، 1984

ياغي عبد الرحمان :حياة الأدب الفلسطيني الحديث، المكتب التجاري– بيروت، 1968

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر	
المقدمة	أ
المدخل	
1- شعر المقاومة الفلسطينية.....	4
أ/ ظروفه ودوافعه	5
ب/ سماته وخصائصه.....	8
الفصل الأول	
1- تعريف الذاتية لغة واصطلاحا	13
2- لمحة عن الذاتية في الشعر العربي الحديث.....	14
أ/ عبد القادر المازني.....	15
ب/ عبد الرحمان شكري	16
ج/ عباس محمود العقاد.....	17
د/ شعراء آخرون	17
3- ملخص للذاتية في الشعر الفلسطيني.....	18
- محمود درويش	19
- سميح القاسم.....	21
- توفيق زياد.....	23
- شعراء آخرون.....	25
الفصل الثاني	

1- نموذج للذاتية في الشعر العربي الحديث	27
أ/ نازك الملائكة نشأتها وحياتها.....	27
بـ/ قصيدة (أنا) لـ نازك الملائكة	28
ج/ تحليل وقراءة للقصيدة.....	29
2- ملامح الآتية عند الشاعرة فدوى طوقان	32
أ/ نشأتها وحياتها	32
بـ / فدوى والشعر	33
ج/ قصيدة حياة لفدوى	37
د/قراءة وتحليل للقصيدة	40
ملحق لبعض أشعار فدوى الذاتية	43
• من الأعماق	43
• نار ونور	43
• خريف ومساء.....	44
• أشواق حائرة	45
• في ضباب التأمل	46
• تعليق	47
خاتمة	49
فهرس المصادر والمراجع	52
فهرس الاعلام	54
فهرس المحتويات	56